

الأساليب التعليمية النبوية -دراسة تحليلية-

Teaching Methodology of the Prophet (S.A.W) An Analytical study

Abu Anas Rafiullah

Ph.D. Scholar, Faculty of Islamic Studies, Federal Urdu University, Karachi.

Rafiullah111@gmail.com

Dr. Hafiz Muhammad Sani

Director Seerat Chair, Chairman Department of Quran o Sunnah, Federal Urdu University,
Karachi. Babar_bashir006@yahoo.com

Bakht Shaid

Ph.D. Scholar, Department of Hadith & Its Sciences, International Islamic University, Islamabad.

bakhtshaid@gmail.com

ISSN
2708-6577

ABSTRACT

No doubt in it that, Messenger Muhammad (S.A.W) was sent as a teacher. He is the best teacher ever come on the face of earth in the history of mankind. It is the Messenger's (S.A.W) pedagogy that singles him out amongst all the teachers of the world. One of the underlying features of his teaching was his communication skills. He used to interact with people according to their status and intellect. This article intends to delve into the pedagogy of Messenger Muhammad (S.A.W). Aim of this article is to explore the strategic steps of Messenger Muhammad (S.A.W) while educating his Companions and to justify these steps as the best of all pedagogies could be adopted in this arena. The six strategic steps that are traced from his pedagogy and discussed in detail in this article are:

- (i) *Persuasion for acquiring knowledge*
- (ii) *Developing understanding of knowledge through practice*
- (iii) *Jurisprudential inference through exercise*
- (iv) *Training under his guidance and reviewing of their inferential skills*
- (v) *Appointment of trained teachers and Jurists*
- (vi) *Endorsement of expertise of the trained Companions-*

Key Words: *pedagogy, Prophet, Seerah, Jurisprudential, communication skills.*

لا يخفى على أحد أن الرسول المعلم عليه الصلوات والتسليمات أرسل إلى المجتمع الممجي تسودها العشوائية ، وقد واجه النبي عليه الصلوات والتسليمات أمة الأميين أساسا لا يدرسون ، ولا يكتبون ، بل كان همهم القتال والجدال ، ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل إليهم معلما علمه فأحسن تعليمه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، فأبدل ما في وسعه في تعليمهم وتثقيفهم ، واستعمل في ذلك أحسن أساليبه ، وأفضلها لإفهام المخاطب، واستخدم ما كان أقرب إلى الفهم حتى يسهل عليه الفهم ، وكان النبي ﷺ يغيّر أساليبه ، ويصوّره بتساوير مختلفة إلى ما يمكنه ذلك حتى بسبب جهد الجهد ، وبطرقه المتنوعة ، بأساليبه الحسنة المتنوعة ، وبأخلاقه الجميلة أصبح أنجح معلم في تاريخ البشرية لم يعرفه التاريخ مثله لا قبله ولا بعده.

الجهود السابقة:

إن العلماء قد الفوا حوال جميع جوانب السيرة النبوية، و لم يتركوا جزءا من حياته الطيبة، والتعليم من مقاصد البعث النبوي فلا غرو ان اهل السير قد كتبوا جوانب الاساليب التعليمية فى كتبهم التى الفوها حول السيرة النبوية الطيبة، لكن هذه

الأساليب توجد منتشرة في أوراق كتب السيرة والحديث والتاريخ، فتمس الحاجة الى ان تجمع هذه الأساليب المهمة حتى يسهل فهمها و مراجعتها، فلذا جمعنا في هذه المقالة الموجزة بعض النواحي من هذا الموضوع الضخم- وسنسلط الضوء على أساليب النبي الكريم _ عليه الصلوات والتسليمات_ المختارة وقت تعليمه الصحابة ، لتكون قدوة لنا في التعليم والتربية ، فما أحوجنا إلى أساليبه المباركة في هذا الزمن ؛ فإن أساليبه _ ﷺ _ المختارة لم تكن محدودة إلى ذلك الزمان بل فهي نبراس ينير سبل التربية في كل آن و زمان ، ولكن قبل أن أخوض في هذه مغامرة علمية لابد من كشف الستار عن مراحل التعليم في زمن النبي _ عليه أفضل الصلوات والتسليمات- فأقول :

مراحل التعليم في عهد النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات:

مراحل التعليم تبدأ في زمن النبي الكريم_ عليه الصلوات والتسليمات _ مع بداية طلوع فجر الإسلام في مكة المكرمة ، وعند ما يخوض الباحث في السيرة النبوية المباركة الطيبة_ على صاحبها ألف ألف سلام و تحية _ ويقوم بدراسة الأحاديث النبوية دراسة عميقة فيعرف أن مراحل التعليم في عهد النبي _ عليه أفضل الصلوات والتسليمات_ كانت خمس ، ثم لكل مرحلة من تلك المراحل أساليب خاصة ، والمدار في تعيين هذه المراحل المستوى التعليمي ، فكل من على استعداده انتقل إلى المرحلة الثانية ، وتغيّر معه أسلوب رسول _ ﷺ _ في التعليم والتفقيه: 1- _ الترغيب ، 2- بداية التعليم ، 3- التمرين على استنباط الأحكام ، 4- التطبيق العملي تحت إشراف النبي _ ﷺ _ ، 5- إعداد المعلمين ، 6- منح شهادة النبوغ في الفن .

المرحلة الأولى: الترغيب:

وبما كان الصحابة _ رضوان الله عليهم أجمعين _ حديثو عهدهم بالإسلام ، ولم تكن نفوسهم متكيفة للتعليم والقراءة بسبب البيئة التي عاشوها قبل الإسلام ، بل الأمية هي التي كانت تسود المجتمع المكي واليثري ، كما ذكر القرآن حتى عن الأمي الكريم _ عليه الصلوات والتسليمات- في قوله سبحانه وتعالى : (" وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ يَمِينُكَ إِذَا لَزَنْتَ الْكُتُبَ ") (1). لذا كانوا بحاجة إلى ترغيب يرسّخ في قلوبهم أهمية التعليم ، و قد اختار المعلم الاعظم _ عليه الصلوات والتسليمات _ هذا الأسلوب ، فرغّبهم في التفقيه ، وقد ضُرح بهذا الأمر في كثير من الأحاديث، وسأكتفي بثلاثة أحاديث فقط خشية التطويل: 1 - فقد روى عن عثمان _ عليه رضوان الرحمن- أن النبي الكريم_ عليه الصلاة والسلام _ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (2). 2- و عن معاوية أن المعلم المربي _ عليه الصلوة والسلام _ قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (3). 3- وعن علي _ رضي الله عنه _ قال: قال رسول الله _ ﷺ _ : "نعم الرجل الفقيه في الدين - - - " (4). فاختار النبي الأمي الكريم_ عليه الصلوات والتسليمات_ هذا الأسلوب في الوهلة الأولى ؛ لأنه أسلوب قرآني ؛ فإن أول وحي نزل في القرآن يتعلق بالترغيب في القراءة ، فقال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (5).

المرحلة الثانية: بداية التعليم والتفقيه

بدأ التعليم ومعرفة الأحكام الابتدائية في مكة المكرمة بمدرسة النبي _ عليه الصلوات والتسليمات بـ " دار الأرقم " ، فكان المعلم الرباني _ عليه الصلوات والتسليمات_ يعلم الناس القرآن ، وما يتعلق به من الأحكام ، ثم أصحابه الكرام _ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين _ كانوا يدرسون في بيوتهم خفية ، والدليل على ذلك ما وقعت عند ما اسلم عمر بن الخطاب _ عليه رضى الرب _ حينما أُخبر بأن أخته قد اسلمت و كذا زوجها، فذهب إلى بيتها ، فسمع أهما كانا يقرءان القرآن ، فلما ألقى _ سبحانه وتعالى _ في قلبه الهداية ، وطلب من أخته ما كان مكتوب من الآيات القرآنية ، فردت عليه بأنك نجس ، ولا يمسه إلا المطهرون ، فهذا دليل على أنها عرفت أنه لا يجوز مس الآيات القرآنية المكتوبة إلا لمن كان طاهراً.

أول كلية المعارف الإسلامية في تاريخ الإسلام:

وعندما هاجر الرسول المهاجر - عليه الصلوات والتسليمات - من موطنه الاصلى إلى دارالهجرة المشرفة ، فبدأ تعلم القرآن والتفقه علناً، بل وأسست بجانب المسجد أول كلية المعارف الإسلامية في تاريخ الإسلام التي سميت بـ "الصفة" ، الصفة لم تكن مأوى لفقراء الصحابة فحسب - كما زعم بعض المعاصرين - بل هي كانت جامعة يتعلم فيها الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - القرآن والأحكام الشرعية ، وكان من طلابها المهاجرون والأنصار ، البعض منهم كانوا يقيمون فيها ، فبذلك هي أصبحت مأوى للطلاب الوافدين الذين جاءوا من خارج المدينة ، وما كان عمل هؤلاء إلا التعلم والتفقه ، وأما الأنصار فكانوا يتعلمون ، ثم كانوا يترددون إلى تجارهم. يقول أنس بن مالك الخزرجي: "أقبل أبو طلحة يوماً ، فإذا النبي - عليه الصلوات والتسليمات - قائم يقرأ أصحاب الصفة و على بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع " (6). فهذا دليل على أنه كان في الصفة نظام للدراسة ، وكان الرسول المعلم - عليه السلام - يدرسه ، وأيضا ما كان تدريسه - عليه السلام - محدود إلى قراءة القرآن فحسب بل كان المربي - عليه الصلاة والسلام - يعلمهم الأحكام الشرعية أيضا، والدليل على ذلك ما ورد في حديث ابن مسعود - عليه رضی الرب - وهو خادم حبيب رب العالمين - عليه السلام - ومن أجل طلاب الصفة ، يقول: "كنا إذا تعلمنا من النبي - عليه الصلوات والتسليمات - عشر آيات من القرآن ، لم نتعلم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيها" ⁷.

أهم أساليب هذه المرحلة :

لا غضاضة في أن المعلم المربي - عليه الصلوات والتسليمات - كان موهوبا في اختيار الأساليب المناسبة لمستوى المخاطب، ومقتضى الحال ، وكان موفقا في ذلك من قبل الله - سبحانه وتعالى ، وهذا ما جعله أنجح معلم في تاريخ البشرية ، وأحسن معلم في الدنيا ، وسأذكر ثمة من الأساليب التي اختارها المعلم الامي - عليه الصلوات والتسليمات - لهذه المرحلة ، ولمن يكون في هذا المستوى.

أسلوب التدريج: لقد راعى المعلم الامي - عليه الصلوات والتسليمات - في تعليم الأحكام الشرعية أسلوب التدريج كما اختاره رب العالمين في الفرقان الحميد، وذلك لأن أسلوب التدريج في المرحلة الابتدائية أسلوب تتقبله الفطرة السليمة ؛ فإن في البداية العقل الإنساني لا يتحمل الضغط ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب الصحابي الجليل عبدالله ابن مسعود - عليه رضی الرب - بقوله السابق: "كنا إذا تعلمنا من النبي - ﷺ - عشر آيات من القرآن ، لم نتعلم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيها " (8). وقال جندب الصحابي - عليه رضی الرب - : "كنا مع رسول الله عليه الصلوات والتسليمات ونحن فتیان خزائره، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن ، فزددنا به إيماناً " (9).

رفع الحجاب بينه - عليه السلام - وبين المتعلم:

من أحسن الأساليب التعليمية أن تكون بين المعلم والمتعلم علاقة وثيقة ، و أن يشعر تلميذه بذلك حتى لا يأتي الخلل في التعلم ، ولا يمنع الخجل من العلم ، وكان النبي - عليه السلام - يشعرهم بذلك كما في رواية أبي هريرة - عليه رضی الرب - أن المعلم الامي - عليه الصلوات والتسليمات - قال : " إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم ، فإذا أتى أحدكم الغائط ، فلا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها " ... (10).

تكليف المخاطب بالاقتراء بما يفعل النبي عليه الصلوات والتسليمات:

وكان من أساليب المعلم العربي _عليه الصلوات والتسليمات_ التي اختارها في هذه المرحلة شرح القضية عملياً أمام الصحابة الكرام _رضي الله تعالى عنهم_، وهذا الأسلوب أقرب إلى الفهم والاستقرار في الأذهان ؛ لذا اختاره النبي الكريم _عليه الصلوات والتسليمات_ في قضايا ما لا يمكن احصائها هناك، ولكن سأذكر طريقة الوضوء والصلاة على سبيل المثال:

1- عن عثمان -عليه رضوان الرحمان- أنه دعا بوضوء ، وعنده ناس من الصحابة، فتوضأ على الطريقة المعهودة، و في الأخير افاض الماء على رجله فأنقاهما، و ذكر: رأيت النبي الخاتم عليه الصلوات والتسليمات توضأ هكذا وقال: "توضؤوا كما رأيتموني توضأت" ... وللحديث بقية(11).

2 _ مرة سأل رجل الرسول الكريم _عليه الصلوات والتسليمات_ عن وقوت الصلوة، فقال له النبي الامي عليه الصلوات والتسليمات: "صل معنا هذين" ثم مكث هذا الرجل يومين ، وصلى مع خاتم النبيين _عليه الصلوات والتسليمات_ يومين ، فصلى النبي ﷺ _في اليوم جميع الصلوات في أول وقتها ، وفي اليوم التالي في آخر وقتها ، ثم سال الرسول المعلم الاعظم عن الرجل، فقال ذاك السائل: نعم يا نبي الله ، قال : "وقت صلاتكم بين ما رأيتم"(12).

التدريس قائما:

ومن الأساليب المختارة لدى المعلم الأعظم عليه الصلوات والتسليمات وقت التدريس قائما ، والدليل عليه ما ذكر في خادم المعلم الاعظم _عليه رضی الرب_ أن المعلم الأعظم _عليه الصلوات والتسليمات_ كان يدرس أصحاب الصفة وكان قائما ، وهذا الأسلوب مفيدة جدا في المرحلة الابتدائية للسيطرة على المتعلمين حتى لا تشتت أذهانهم وقت التعلم-

استعمال وسائل التعليم المتوفرة وقت التعليم:

ومن أساليب الرسول المعلم _عليه الصلوات والتسليمات_ أنه كان يستخدم وسائل التعليم المتوفرة في ذلك الزمان ، وخذ على سبيل المثال الحديث الذي رواه صحابي جليل صاحب النعلين حيث قال : "خط الرسول عليه الصلوات والتسليمات خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو: قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا"(13). فقد خط المعلم الكريم عليه الصلوات والتسليمات على الأرض، ورسم هذه الصورة، ثم شرح لهم الرسم، فكان النبي الخاتم عليه الصلوات والتسليمات استخدم الأرض كسبورة ، ومن هنا نجد أصلا لاستخدام السبورة. وكذلك كان علي - رضي الله عنه - يوصل ما كان يعلم الناس من المناسك يوم حجة الوداع لكثرة الاجتماع- قال رافع المزني: "رأيت رسول الله عليه الصلوات والتسليمات يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعلي يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد"(14) وكانت هذه الصورة الممكنة الاستخدام لإيصال الصوت للقاصي ، ومن هنا نجد أصلا لاستخدام مكبر الصوت وقت التعليم .

أسلوب التكرار للإتقان ورعاية لمستوى المخاطب:

يصرح خادم المعلم العربي _عليه رضی الرب_: " كان النبي _عليه الصلوات والتسليمات_ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى يفهم عنه"(15). في هذا الحديث إشارة إلى اختيار أسلوب التكرار ثلاثا بصورة مستمرة ، والتكرار في الكلام خلاف الفصاحة إلا إذا اقتضى الحال ، والمعلم العربي _عليه الصلوات والتسليمات_ أفصح البشرية مطلقا لا يختلف فيه

الثاني ، فما يمكن هذا التكرار إلا رعاية مستوى المخاطب ليتقن الكلام؛ لأن المعلم الاعظم _ عليه الصلوات والتسليمات _ أحيانا كان يعيد كلامه ثلاثا ، وكان في حضرة صحابي واحد ، كما هو المذكور في حديث معاذ الطويل و في الاخير منه: "فلم يحدثني بشيء إلا قاله ثلاث مرات" (16).

كتابة الدرس للمتعلم:

وإن من أهم الأساليب الناجحة للتعليم كتابة الدرس الجديد للمتعلم ، كما أمر النبي الهاشمي _ عليه الصلوات والتسليمات _ بكتابة خطبته لأبي شاه التي ألقاها بعد الفتح، وبَيَّن فيها حرمة الحرم وأحكامها ، فقال أبو شاه اليمنى: اكتب لي يا معلم الامة عليك الصلوات والتسليمات، فقال المعلم الرباني _ عليه الصلوات والتسليمات _ "اكتبوا لأبي شاه" (17).

النزول من منزلته إلى منزلة المخاطب:

هذه المرحلة تقتضي من المعلم الناجح أن ينزل أحيانا من منزلته الراقية ، ومن مستواه السامية إلى منزلة المتعلم، فيخاطبه كأنه في منزلته ، وقد اختار النبي الكريم _ عليه الصلوات والتسليمات _ هذا الطريق مع أخ أنس الصغير عند ما مات نغيره، فقال له المعلم الاعظم _ عليه الصلوات والتسليمات _ : " يا ابا عمير ما فعل النغير" (18).

جلب توجه المخاطب بالنداء، وبإمسأكه بيده، أو منكبه:

إن من أهم أساليب التعليم جلب انتباه المتعلم وقت الدراسة ، وقد اختار المعلم الامي _ عليه الصلوات والتسليمات _ هذا الأسلوب بطرق مختلفة، أحيانا كان المعلم الكريم _ عليه الصلوات والتسليمات _ ينادي المخاطب ، ويكرر النداء كما قال لمعاذ بن جبل _ وكان راكبا معه: "يا معاذ"، قال: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، ثلاثا، ثم قال: "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار" وفي الحديث بعض التفاصيل (19). وكما أخذ الرسول المعلم عليه افضل الصلاة والسلام يد ابن مسعود _ اسعده الله _ عند ما علمه التشهد ، وكان كف ابن مسعود بيد كفيه المباركة ، وكان يعلمه التشهد (20). وكما مسك ابن عمر _ عليه الرضوان _ من منكبه ثم ذكر له: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (21).

تشجيع المتعلم بالثناء عليه عندما سأل سؤالا حسنا:

من الأساليب المختارة لدى المعلم الامي _ عليه الصلوات والتسليمات _ تشجيع المتعلم إذا سأل سؤالا جميلا ، وهذا ما يبيث في المتعلم الشجاعة والجرأة في التعلم والتقدم ، أما إذا لايتاح للمتعلم فرصة السؤال ، أو سأل ولم يجد ردا مناسباً ، فهذا يؤدي إلى انكساري داخلي ؛ لذا النبي الكريم _ عليه الصلوات والتسليمات _ كان يشجع المتعلم إذا سأل سؤالا جميلا، كما في حديث معاذ _ عليه الرضوان _ عند ما سأل، فالنبي _ عليه السلام _ أثني عليه (22).

طرح السؤال لمعرفة ذكاء المخاطب امتحانا له:

وإن من أهم أساليب التعليم طرح الأسئلة لمعرفة ذكاء المتعلمين، وهذا مهم جدا في التعليم ؛ لأنه لا بد للمعلم أن يعرف مستوى طلابه حتى يستطيع أن يغذيه بما يوافقه ، وقد اختار الرسول العربي _ عليه الصلوات والتسليمات _ هذا الأسلوب كما صرح به في حديث ابن عمر _ عليه الرضوان _ في حديث النخلة ، طرح النبي الامي _ عليه الصلوات والتسليمات _ سؤالا على حاضري المجلس فقال: "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟..."

والحديث طويل (23). وبهذه الطريقة استطاع المعلم الأعظم _عليه الصلوات والتسليمات_ بعد مدة قصيرة أن يتحول إلى المرحلة الثانية من مراحل التعليم والتفقيه ، وهي مرحل التمرين والتدريب على استخراج الأحكام واستنباطها.

المرحلة الثانية: التمرين على استنباط الأحكام

ففي بداية هذه المرحلة كان المعلم الكريم _عليه الصلوات والتسليمات_ يعرض على الصحابة الأمثال والنظائر حتى يستخرجوا في ضوءها حكم ما يكون مثلها ، وهذه في الحقيقة كانت الخطوة الأولى إلى تعليم الاجتهاد بالرأي في المسائل التي لم يرد النص فيها ، وقد نجح المعلم _عليه الصلوات والتسليمات_ في هذا ، فقد ترقى على يديه المجتهدون الذين كانوا يجتهدون في المسائل بآراءهم ، وقد أظهر المعلم الأعظم _عليه الصلوات والتسليمات_ الفرح عند ما سال معاذ بن جبل _عليه الرضوان_ حينما كان يرسله إلى يمن في الإجابة عن السؤال: بم تقضي إن عرض لك القضاء، ولم تجد الصراحة في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ؟ قال: "أجتهد رأيي ولا آلو"، فقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يري رسول الله" (24).

أساليب هذه المرحلة: ضرب النظر بالنظر :

كما ورد في حديث ابن عم المعلم _عليه رضى الرحمان_ أن رجلا جاء إلى نبي الله _عليه الصلوات والتسليمات_ و كانت أختها قد نذرت أن تحج وهي توفيت قبل ذلك : فقال المعلم العربي _عليه السلام_ : " لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟" قال: نعم، قال: "فاقض الله، فهو أحق بالقضاء" (25). ففي هذا الحديث عرض عليه المعلم عليه الصلوات والتسليمات النظر وعن طريقه علمه استخراج الحكم لنظيره آخر. وكذلك قال في موضع آخر: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" (26).

ذكر المقدمات ليرتب عليها النتيجة:

تارة كان المعلم الامي عليه الصلوات والتسليمات يذكر للمتعلم المقدمات ليوصل بها النتيجة ، وإن هذا الأسلوب له أثر في الإقناع ، وفي نمو قوة العقل، وهذا ما ورد في حديث أبي أمامة الطويل بان فتى استاذن المعلم عليه السلام فى الزنى، فادبه المعلم عليه السلام بطريق عقلى نافع حتى فهم خطيرة الزنى و قال: "ولا الناس يجبنه لأمهاتهم" ... (27)

ثم سأله المعلم العربي عليه الصلوات والتسليمات هذا السؤال حول بنته، فأجاب الفتى نفس الجواب ، ثم حول أخته ، ثم حول عمته ، ثم حول خالته على النمط الأول، ثم دعا له، ففي الحديث المذكور ذكر للفتى المقدمات المسلمة عنده حتى يتوصل إلى النتيجة، وإلى قباحة الزنى بنفسه ، حتى اقتنع.

التشجيع على استنباط الأحكام والتعقيب على اجتهاده:

ومن أهم أساليب هذه المرحلة التشجيع ، فإذا قام أحد من الصحابة على استخراج الحكم ، واجتهد فيه ، فكان يعرضه على الرسول المعلم عليه الصلوات والتسليمات ليعرف رأيه فيه، فإذا أصاب شجعه ، و إذا أخطأ فيه لم يعنف ، كما ورد في الحديث ان رجلين صليا بالتيمة و حينما وجدا الماء اعاد احدهما صلاته و لم يعد الآخر فشجعهما المعلم عليه السلام ولم يعقب على واحد منهما (28). وكذلك لما اجتهد الصحابة في صلاة العصرة في الطريق يوم الأحزاب بعد أن أمرهم النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات بقوله: " لا يصلين أحد إلا في بني قريضة ". فصلى بعضهم في الطريق، والآخر لم يصلوا ، فلما ذكر ذلك للمعلم _عليه السلام_ فلم يعنف أحدا (29).

الزجر على عدم استخدام العقل:

وبما أصل الشيء في هذه المرحلة استخدام العقل وقت الاجتهاد ؛ لذا كان يزجر لو لم يستخدم أحد عقله وقت استخراج الحكم ، والدليل على ذلك ما حدث مع الصحابة في سرية ، أنهم أغضبوا الأمير ، فأمرهم بجمع الخطب ، فجمعوها ، ثم أمرهم بإيقاد النار ففعلوا ، فقال الأمير : ألم يأمركم نبيكم الكريم عليه الصلوات والتسليمات بالسمع والطاعة؟ فاجابوا : بلى ، فأمرهم بالدخول في النار ، لكنهم لم يدخلوها ، فلما اخبروا بذلك النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات ، فقال : "لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف". (30) فهنا استخدموا العقل ، ولو لم يستخدموه لما خرجوا من النار ، وهذا كان الزجر من النبي عليه الصلوات والتسليمات في صورة عدم استخدام العقل.

المرحلة الرابعة : التطبيق العملي تحت إشراف النبي المعلم عليه الصلوات والتسليمات:

التدريب على تطبيق ما تعلم تحت إشراف المشرف من أهم مراحل التعليم ، فإن أحدا مثلا إذا درس قواعد الإفتاء ، ولم يتمرن على إصدار الفتوى عمليا تحت إشراف المفتي ، فإنه لا يتمكن من إصدار الفتوى في المستقبل وإن حفظ القواعد ، وبما أن الرسول المعلم عليه الصلوات والتسليمات كان يُعِدُّ المجتهدين الذين كانوا سيقومون بعمله _ عليه السلام ، وينوبون عنه ؛ لذا قام بتدريبهم العملي تحت إشرافه _ عليه السلام _ إلى أن صقلت مواهبهم وتجلت بكل ما ينبغي أن يكون .

من أساليب هذه المرحلة: التكليف بحل المشكلة تحت إشرافه عليه الصلوات والتسليمات:

كان النبي عليه الصلوات والتسليمات يكلّف صحابيا يريد تدريبه بالقضاء بين الخصمين ، وهو كان يشرف على قضاءه، كما كلّف ابن العاص عليه الرضوان بالقضاء بين الخصمين ، عندما جاءا مخاصمين عند المعلم عليه الصلوات والتسليمات وكان عمرو في حضرته ، فقال عمرو : يا رسول الله، أقضي فيهما وأنت شاهد؟! فقال : "اقض بينهما" . قال : على ما ذلك ؟ قال : "إن اجتهدت فأصبت فلك حسنتان، وإن أخطأت فلك حسنة واحدة"(31).

طلب المشورة في حل القضية والتعقيب على الجواب:

كان النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات أحيانا يقول لصحابي أشرف علي في كذا لمعرفة قدرته وملكوته في الإجابة، وإصدار الفتوى ، واستنباط الحكم، فإذا أصاب أثني عليه، كما قال لسيدهم سعد عليه الرضوان في الحكم في بني قريضة : " أشرف علي في هؤلاء". قال: "إني أعلم أن الله قد أمرك فيهم بأمر أنت فاعل ما أمرك الله به". قال: "أجل ، ولكن أشرف علي فيهم". فلما اشار عليه سعد، قال المعلم الكريم عليه الصلوات والتسليمات: " والذي نفسي بيده لقد أشرت علي فيهم بالذي أمرني الله به"(32).

المرحلة الخامسة : إعداد المعلمين والمفتين:

النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات لقد ربى أصحابه بيديه ، وفقَّههم ، ودرَّجهم على ذلك تحت إشراف عليه الصلاة والسلام تطبيقا عمليا ، حتى تنجلي قدراتهم ، تتبلور غزائهم الفقهية ، في حياته المباركة ، فالنبي عليه الصلوات والتسليمات عيَّنهم كمدرسين، ومفتين حتى لو وجدوا مشكلة في التعليم والاجتهاد فيرجعون إليه، فتتقوى ملكتهم ، وكذلك كانوا أيضا يراجعون في قضاياهم إلى النبي عليه الصلوات والتسليمات فيصح لهم إن أخطأوا، كما سيأتي في قصة عبادة بن صامت عليه الرضوان ، وهذا كان المطلوب في هذه المرحلة.

وقد نجح رسول الله عليه الصلوات والتسليمات في ذلك نجاحا باهرا ، فوصل تلاميذه عليه الصلاة والسلام إلى مرحلة النبوغ والكمال ، ونضجت ملكتهم و مواهبهم، وأصبحوا في حياته عليه الصلاة والسلام الفقهاء المجتهدين الذين ما نزلت عليهم

نازلة إلا وحلّوها ، وخلفاءه الراشدين الذين ما رأوا طريق النبي عليه الصلوات والتسليمات إلا وسلّكوها، والقادة القادرين الذين ما ظهرت الفتنة أمامهم إلا وخمدوها، السادسة الماهرين الذين غيّرُوا مجرى التاريخ في حياتهم.

أساليب هذه المرحلة:تكليف الصحابة على التدريس:

عندما رأى النبي عليه الصلوات والتسليمات أن تلاميذه قد وصلوا إلى مرتبة الكمال في التعليم ، عيّنهم كمعلمين للآخرين حتى يستفيد ، و يفيد ، و في الحقيقة هذه أيضا تعد من مراحل التعليم ، وقد سميت بـ "التعلم عن طريق التعليم " ؛ ولذلك لأن بالتعليم ينكشف الستار عن مهاراته التعليمية والتدريسية المكنونة ؛ فإن المتعلم كما يكون بحالة إلى إشراف المشرف في جميع مراحل التعلم ، فكذلك هو بحاجة إلى مراقبته في مراحل التدريس أيضا ؛ لأن الانتقال من مرحلة التعلم _ ولو وصل المتعلم إلى مرحلة النضج فيها _ إلى مرحلة التدريس والتعليم هو تطور كبير جد؛ لذا اختار النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات هذا الأسلوب ، والدليل على ما قاله عبادة بن صامت رضي الله عنه: علّمت ناسا من أصحاب الصفة القرآن الكريم و الكتابة، فبعضهم أهدى إلي قوسا، فقلت: لاذهبن الى المعلم الاعظم عليه الصلوات والتسليمات فلاُسألنّه، فلما سألته، اجابني بقوله: " ان كنت تريد ان تطوق بما طوقا من النار فاقبلها"(33).

الإذن بإصدار الفتوى في حياته بل بحضرة النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات:

ولقد أذن النبي الكريم عليه الصلوات والتسليمات لبعض أصحابه المجتهدين بالفتوى في حياته، وقد ذكرهم مُجّد بن القاسم أربعة، فهم الخلفاء الاربعة عليهم رضوان الرحمان (34) وذكرهم أبو خيثمة ستة، ثلاثة نفر من المهاجرين، وهم : عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان، و علي بن ابي طالب، وثلاثة من الأنصار، وهم: معاذ بن جبل، و أبي، وابن ثابت (35).

تعيينه كمفتي خارج المدينة:

ولقد أرسل المعلم الرباني عليه الصلوات والتسليمات الفقهاء من أصحابه إلى المدن الأخرى لتعليم القرآن والأحكام الشرعية ، وأذن لهم بالاجتهاد بالرأي في الأمر الذي لم يجد لا في الكتاب ولا في السنة ، كما ذكر في حديث _عليه الرضوان_ حينما ارسله إلى اليمن قاضيا، وسأله بما تقضي، فعندما فأجا بمعاذ بأنه يقضي بالكتاب، وإلا بالسنة ، و إلا يجتهد برأيه ، ففرح النبي _عليه السلام_ بجوابه وقال : " الحمد لله الذي وفق رسول المعلم الرباني عليه الصلوات والتسليمات لما يرضي رسول الله " (36).

عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله عليه الصلوات والتسليمات إلى اليمن وأنا حديث السن، قال: فقلت: تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء ، قال: " ان ريك سيهدى لسانك و يثبت قلبك" قال: فما شككت في قضاء بين اثنين (37).

المرحلة السادسة : منح شهادة النبوغ في الفن

عند ما كان يصل أحد من الصحابة نبوغه في فنه فكان النبي ﷺ _ يعطيه شهادة التخرج، بأن يشهد على كماله في فنه ، ويحث الآخرين من التعلم منه ، وإليك الأمثلة :

عن أنس بن مالك عن النبي - ﷺ - قال: أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل " (38).

عن أنس، أن المعلم الرباني _عليه السلام_ قال: "أفرضهم زيد بن ثابت" (39).

حث النبي عليه الصلوات والتسليمات على تعلم القرآن من أربعة:

ان الرسول المعلم عليه السلام حث اصحابه على تعلم القرآن و رغبهم اليه، وذكر له فضائل و مزايا لا تكاد توجد لامر آخر، فاحب قراء قراءة ابن أم عبد بقوله: "من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد"(40). فهذه كانت شهادة من المعلم الرباني _ عليه السلام _ إياه لكماله في القراءة، ويا لعظمة الشهادة ! ، وقد بشر غيره من الاصحاب بها .وفي رواية " اقرءوا القرآن من أربعة نفر، من ابن أم عبد"، فبدأ به، " ومن أبي بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل"(41).

والحاصل لا غرو أن المعلم الرباني عليه الصلوات والتسليمات بعث معلما ، وكان _ عليه السلام _ أحسن معلم عرفه تاريخ البشرية ، وذلك كان بسبب أساليبه التي كان يختارها وقت التعليم ، وكان يراعي فيها كل فرد ومستواه ، و في هذه الدراسة حاول الباحث قدر المستطاع أن يذكر أولا مراحل التعليم التي اختارها للتعليم ، وهي ستة :1- الترغيب ، 2- بداية التعلم والتفقه، و3 التمرين على استنباط الأحكام ، 4 - التطبيق العملي تحت إشراف النبي _ ﷺ _ 5 - إعداد المعلمين والمجتهدين ، 6- منح شهادة النبوغ .

ثم حاول الباحث أن يذكر لكل مرحلة أساليبها التي اختارها النبي _ عليه السلام _ في تلك المرحلة رعاية للفروق والمراتب ، وفي الأخير ذكر الباحث أهم النتائج هذه الدراسة ، وإليك التفصيل:

المرحلة الأولى: الترغيب

هذه المرحلة قبل بداية التعليم عمليا ، فكان النبي عليه الصلوات والتسليمات يرغب الصحابة في التعلم والتفقه في الدين ، كما رغب أول وحي نزل في القرآن ، وهو : أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (42).

المرحلة الثانية : بداية التعلم والتفقه

أساليب هذه المرحلة: أسلوب التدرج و رفع الحجاب بينه _ ﷺ _ وبين المتعلم وتكليف المخاطب بالاعتناء بما يفعل النبي عليه الصلوات والتسليمات والتدريس قائما واستعمال وسائل التعليم المتوفرة وقت التعليم وأسلوب التكرار للإتقان ورعاية لمستوى المخاطب وكتابة الدرس للمتعلم والنزول من منزلته إلى منزلة المخاطب و جلب توجه المخاطب بالنداء ، وبإمسكه بيده ، أو منكبه و تشجيع المتعلم بالثناء عليه عندما سأل سؤالا حسنا و طرح السؤال لمعرفة ذكاء المخاطب امتحانا له -

المرحلة الثانية: التمرين على استنباط الأحكام

أساليب هذه المرحلة: ضرب النظير بالنظير وذكر المقدمات ليرتب عليها النتيجة والتشجيع على استنباط الأحكام والتعقيب على اجتهدوه الزجر على عدم استخدام العقل-

المرحلة الرابعة : التطبيق العملي تحت إشراف المعلم الاعظم عليه الصلوات والتسليمات

من أساليب هذه المرحلة: التكليف بحل المشكلة تحت إشرافه عليه السلام و طلب المشورة في حل القضية و التعقيب على الجواب.

المرحلة الخامسة : إعداد المعلمين والمفتين

أساليب هذه المرحلة: تكليف الصحابة على التدريس والإذن بإصدار الفتوى في حياته بل بحضرة النبي عليه التسليمات وتعيينه كمفتي خارج دار الهجرة -

المرحلة السادسة : منح شهادة النبوغ في الفن

أساليب هذه المرحلة: شهادة الامى الكريم _ عليه التسليمات _ بأن وصل إلى الكمال في هذا الفن بتعبيره المعجز. حث الآخرين بالتعلم منه .

المراجع والمصادر

- 1 - القرآن، العنكبوت: 29، الآية : 48.
- 2- الطيالسي، ابوداود سليمان بن داود، (ت: 204هـ)، مسند ابى داود الطيالسي، المحقق: الدكتور مُجَدِّد بن عبدالحسن، احاديث عثمان بن عفان، 73/1، رقم: 73، دار هجر، مصر، ط: 1، 1419هـ.
- 3 - البخاري، مُجَدِّد بن اسماعيل، (ت: 256هـ)، الجامع الصحيح، المحقق: مُجَدِّد زهير، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، 24/1، رقم الحديث: 71، دار طوق النجاة، (ترقيم مُجَدِّد فؤاد عبد الباقي)، بيروت ط: 1، 1422هـ.
- 4 - الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله، (ت: 743هـ)، شرح الطيبي على المشكوة، (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، مكتبة نزار المصطفى، مكة، ط: 1، 1417هـ، 702/2.
- 5 - سورة العلق، رقم الآية : 1.
- 6 - الفريابي، دلائل النبوة، جعفر بن مُجَدِّد، ابوبكر (ت: 301هـ)، تحقيق: عامر حسن صبرى، دار حراء، مكة، ص: 38.
- 7 - الحاكم، ابوعبدالله، مُجَدِّد بن عبدالله، (ابن البيع)، (ت: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، كتاب فضائل القرآن، باب في فضائل القرآن جملة، 743/1، رقم الحديث: 2047، دارالكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ.
- 8 - نفس المصدر.
- 9 - ابن مندة، ابوعبدالله، مُجَدِّد بن اسحاق، (ت: 395هـ)، الايمان لابن منده، تحقيق: على بن مُجَدِّد الفقيهى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1406، 30/1.
- 10 - ابوداود، سليمان بن الاشعث، سنن ابى داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، 127/3، رقم: 2917.
- 11 - البزار، ابوبكر، احمد بن عمرو، (ت: 292هـ)، مسند البزار، مسند عثمان بن عفان، ابوعلقمة مولى ابن عباس، رقم الحديث: 443، 89/2، تحقيق: محفوظ الرحمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، 2009م.
- 12 - ابوالحسن، مسلم بن الحجاج، (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب اوقات الصلوات الخمس، 428/1، رقم الحديث: 613، تحقيق مُجَدِّد فؤاد عبد الباقي، داراحياء التراث العربى، بيروت، س ن.
- 13 - البخارى، مُجَدِّد بن اسماعيل، صحيح البخارى، كتاب الرقاق، باب فى الامل و طوله، 89/8، رقم الحديث: 6417.
- 14 - ابن كثير، اسماعيل بن عمر (774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: على شيرى، 93/5، داراحياء التراث العربى، بيروت، ط: 1، 1408هـ.
- 15 - البخارى، مُجَدِّد بن اسماعيل، صحيح البخارى، كتاب العلم، باب من اعاد الحديث ثلاثا حتى يفهم عنه، 30/1، رقم الحديث: 95.
- 16 - احمد بن محمد بن حنبل، ابوعبدالله، (ت: 241هـ)، مسند احمد، تحقيق: شعيب الارناؤوط، 434/36، رقم: 22122، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 17 - صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة و صيدها، 988/2، رقم الحديث: 988.
- 18 - سنن ابى داود، كتاب الادب، باب ما جاء فى الرجل يتكنى و ليس له ولد، 293/4، رقم الحديث: 4969.
- 19 - صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب من لقي الله بالايمان و هو غير شاك فيه، 61/1، رقم الحديث: 53.
- 20 - صحيح البخارى، كتاب الاستيذان، باب المصافحة، 59/8، رقم الحديث: 6265.
- 21 - المصدر السابق، 89/8، رقم: 6416.
- 22 - نفس المصدر.
- 23 - صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المومن مثل النخلة، 2164/4، رقم: 2811- 24 - الطبرانى، ابوالقاسم، سليمان بن احمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدى بن عبدالمجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: 2، 170/20.
- 24 - سنن ابى داود، كتاب الاقضية، باب اجتهد الراد فى القضاء، 303/3، رقم الحديث: 3592.
- 25 - صحيح البخارى، كتاب الايمان والنذور، باب من مات و عليه نذر، 214/8، رقم: 6699.
- 26 - صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، 697/2، رقم: 1006.

- 27 - الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، باب الصاد، حريز بن عثمان عن سليم بن عامر، 183/8، رقم الحديث : 7680.
- 28 - سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في المتيمم يجد الماء بعد ما يصلي، 92/1، رقم: 338.
- 29 - صحيح البخاري، ابواب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، 15/2، رقم: 946.
- 30 - صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية، 1469/3، رقم: 1840.
- 31 - الطبراني، المعجم الوسيط، تحقيق: طارق بن عوض، دارالحرمين، القاهرة، 37/8، رقم: 7888.
- 32 - ابن سعد، محمد بن سعد، (ت: 230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1410هـ، 324/3.
- 33 - ابوبكر بن ابي شيبة، عبدالله بن محمد، تحقيق: كمال يوسف، مكتب الرشد، الرياض، ط: 1، 1409هـ، 341/4، رقم: 20843.
- 34 - ابن سعد، محمد بن سعد، (ت: 230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت، 255/2.
- 35 - المصدر السابق : ج 2 ، ص. 267.
- 36 - الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، 170/20.
- 37 - ابن كثير، اسماعيل بن عمر (774هـ)، البداية والنهاية، 125/5.
- 38 - ابن سعد، محمد بن سعد، (ت: 230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت، 264/2.
- 39 - البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: 458هـ)، السنن الصغير، باب الفرائض، 353/2، رقم الحديث: 2280، تحقيق: عبد المعنى قلنجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، ط: 1، 1410هـ.
- 40 - الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، من مناقب ابن مسعود، 67/9، رقم الحديث: 8415.
- 41 - المصدر السابق، 66/9، رقم: 8410.
- 42 _ القرآن، العلق: 96، الآية : 1-